الحرب في مواجهة الدين والسياسة

عارف أبوحاتم*

■ ليس في الحرب شيء جميل، لكن أجمل ما في الحرب السادسة لدولة عربية مع الدولة العبرية، هي أن ميليشيات حزب الله كشفت أن دولة اسرائيل العظمى قابلة للانكسار والهزيمة، وبامكانيات محدودة.

هذه الدولة التي طالما أرعبت حكاماً وأخافت شعوباً، وتسابق في تقديم الولاء لها زعماء وعملاء، نجدها الآن تعلن حالة التعبئة العامة، وتستدعي الاحتياطي من جيشها لمواجهة ميليشيات حزب، بعد حرب لم يقدر لها العقلاء.

وفي تقديري أن رئيس الحكومة الاسرائيلية ايهود أولمرت، ووزير دفاعه عمير بيرتس، وهما الشخصيتان المدنيتان وقعا ضحية لقادة الجيش ـ وفي مقدمتهم قائد الأركان «دان حالوتس» ـ الذين لم يقدروا للحرب، والحزب، حجمهما الحقيقي، بل اقنعوا الحكومة بأن خمسة أيام كافية لاستئصال شأفة حزب الله.

وأظهرت افرازات المعركة أن نزع سلاح حزب الله بالكامل، وهم يتبدد كلما اتسعت ساحة المعركة، ويصغر كلما طال أمد الحرب، وليس هناك سوى خيارين لايقاف النار التي أشعلتها قذيفة اسرائيلية، فوق أرض لبنانية، وبارك اتساعها بترول عربي، وزاد في اضرامها رياح دعم امريكية قادمة من وراء المحيط!!

الخيار الأول: أن تضع الحرب أوزارها بضغوط دولية، طبقاً لرؤية قمة دول الثماني المنعقدة في (سان بطرسبورغ)، أو نتائج قمة روما، وكلاهما تتضمن مطالب اسرائيلية غلفتها التنقية الأمريكية بأغطية دولية. وقد تطوعت وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندوليزا رايس) بحمل المطالب الاسرائيلية الى الجانب اللبناني في الـ (24) من يوليو الجاري، وقدمت املاءات وصفتها بأنها (كلٌ لا يتجزأ) وكانت تعرف أن لا أحد سيستمع الى أية مبادرة قبل ايقاف اطلاق النار، ولكنها أرادت اعطاء وقت اضافي لإسرائيل حتى تنهك البنية التحتية لحزب الله، ويظلّ عاجزاً عن الفعل لعدة سنوات، وهذا ما يريده قادة الجيش الاسرائيلي.

كانت املاءات (رايس) معقدة التركيب، مستحيلة التطبيق على الأرض، لخطورة دلالتها على الجانب اللبناني، وهي:

أولاً: نزع سلاح حزب الله ـ وسواء كان النزع قبل أو بعد ايقاف اطلاق النار ـ فهذا معناه تحويل حزب الله الى جماعة سلمية تكتفي بالشعارات والتنديد، وبالتالي يتحول حسن نصر الله بكل كاريزميته الى أسد منقوش فوق سجاد، لا يدفع عن نفسه حتى الغبار.

ثانياً: أن ينسحب حزب الله الى شمال نهر (الليطاني)، وهذا معناه نسف كل الجهود السابقة له، وتحويل اعجاب الشارع اللبناني بحزب الله، الى نقمة لأنه تسبب بهزيمة مذلة بعد نصر عزيز.

ثالثاً: احلال قوات دولية في منطقة تمتد لـ(20) كيلومترا في العمق اللبناني، وهذا معناه وضع لبنان تحت الوصاية الأمريكية، سواءكانت القوات الدولية من حلف (الناتو)، أو قوات بقيادة الأمم المتحدة.

وفي هذه النقطة ملاحظتان تثيران الخوف:

الأولى: أن تجربة كل من القوات الأمريكية، أو القوات الدولية غير نزيهة البتة، فأمريكا اثبتت انحيازها التام لاسرائيل، ولا تزال قلوب عربية كثيرة تخفق خوفاً منها، ونقمة عليها، جراء تصرفاتها المطلقة العنان في العراق، ولبنان الثمانينيات، ومصر الخمسينيات، وسورية، والصومال، وليبيا، و... و... (ومتى القلبُ في الخفقان اطمأن)!

الثانية: ان القوات الدولية ثبت تواطؤها مع اسرائيل وانصياعها لأمريكا، وآخرها أثناء الاجتياح الاسرائيلي لسجن أريحا واعتقال أمين عام الجبهة الشعبية أحمد سعدات، في منتصف مارس الماضي.

ثم ان القصف الاسرائيلي المتعمد ـ بحسب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان ـ يستهدف ذوي القبعات الزرقاء، وجعل عددا من الدول تعتذر، وبمسوغات غير مقنعة، عن ارسال قوات دولية الى الحدود اللبنانية مع اسرائيل، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا اللتان قالتا بأن قواتهما منشغلة في العراق وأفغانستان، وفرنسا التي طالبت بتوضيح لمهام هذه القوات، وبقيادة من ستكون، وألمانيا التي قالت ان لديها التزامات في البلقان والكونغو، وهولندا التي قالت بأن لدى قواتها التزامات، لم تفصح عن طبيعتها!!

ثم لماذا يراد للقوات الدولية أن تكون داخل العمق اللبناني، وليس في العمق الاسرائيلي، مع أنه المعتدي، وصاحب مبادرات الحرب، أليس الهدف من ذلك هو وضع لبنان تحت الانتداب الأجنبي، خاصة اذا ما كانت هذه القوات من (الناتو)، المقبوض زمامه بيد الولايات المتحدة، حيث أكبر عدد من الأفراد فيه ينتمون لدولة فقيرة مثل (بنغلادش).

الخيار الآخر لايقاف الحرب السادسة مع دولة عربية، هو أن الحرب ستضع أوزارها بعد وقت طويل، تتكشف فيه أوراق كثيرة، وتخرج فيه الأصوات عن التورية، والحرب الكلامية، واللعب بالأوراق السياسية والأمنية.

فالحرب الملتهبة مساحتها أكبر من مساحة المنطقة الواقعة فيها (جنوب لبنان وشمال اسرائيل)، ودوافعها أكبر من مجرد استعادة جنديين أسيرين بيد حزب الله، والقدرات الواقفة وراءها أقدر وأكبر من ميليشيات حزب الله، وتقنيات الجيش الاسرائيلي.

انها حربٌ بالوكالة بين لدودين قديمين (أمريكا وايران)، ففي حين أعلن الكونغرس الأمريكي عن (تأييده لقرار يدعم اسرائيل في حربها ضد لبنان) وتحذير (رايس) لسورية من التدخل، جاء الرد الايراني معترفاً بأنه دعم حزب الله في المرحلة السابقة، ومحذراً من أن أي عدوان ضد سورية سيضطره للتدخل.

وعندما قال المندوب الأمريكي لدى الأمم المتحدة (جون بولتون): (كيف نوقف اطلاق النار مع مجموعة من الارهابيين)، جاوبه مرشد الثورة الايرانية علي خامنئي: بأن الجنوب اللبناني هو البوابة التي ستقود الى تحرير القدس وفلسطين.

ولم يكن قول الرئيس أحمدي نجاد ان (بوادر عاصفة في المنطقة قد بدأت، ومن يزرع الريح سيحصد العاصفة)، غير رد على طرح الرئيس الأمريكي ووزيرة خارجيته بأن (شرق أوسط جديدا سيولد، وما الحرب الجارية الا آلام مخاض قبل الولادة).

هكذا اذاً هي الحرب، تفويض، ووكالات غير معلنة...

وسواءٌ كانت كذلك أم لم تكن، فيجب التأكيد على وجود تخاذل عربي تجاه لبنان، كانت أبسط دلالاته اعطاء ضوء أخضر، واشارة عبور، للقوات الاسرائيلية، ولم يكن رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري مغالياً حين قال: (ان هناك تآمراً عربياً، ولا يوجد موقف عربي يختلف عن الموقف الأمريكي من الحرب)، أو حين قال مستفسراً: (أنعاقب في حربنا مع اسرائيل بدوافع مذهبية وطائفية).

ولم تشفع عروبة اللبنانيين عند أبناء عمومتهم، فالجهود المبذولة من الرئيس علي عبدالله صالح، وأمين عام الجامعة العربية عمرو موسى، لم تفلح في جمع الشتات العربي في قمة عربية استثنائية، كل ما سيصدر عنها ليس أكثر من بيان شجب وتنديد، ومطالب لمجلس الأمن بالتدخل الفوري لوقف اطلاق النار، أما على الأرض فلا يعول من الجامعة العربية فعل شيء..

يذكر (نبيه بري أن اتصالاً تلقاه من الرئيس صالح قال فيه: «نبيه، اليمن دعت الى عقد قمة عربية طارئة لمناقشة خطورة الوضع»، فرد عليه بري: «لن يسمحوا لك بعقد هذه القمة، لأن أمريكا تريد اعطاء اسرائيل وقتاً اضافياً لحسم المعركة»، ويضيف بري بامتنان: «وبعد فترة اتصل بي الرئيس اليمني وقال لي: «اذا لم تعقد القمة حتى الـ((25 من يوليو، سأضع كل طاقات اليمن في خدمة القضية اللبنانية».

وهذا ما حدث على الأرض، نكسة سياسية عربية ازاء قضية لبنان، بدأها الساسة بدوافع الخوف على مصالحهم، واتبعهم بعض من رجال الدين، بدوافع التبعية والتمويل، وبقيت الحرب وحدها صامدة في مواجهة الدين والسياسة.

وربما أصابت الانفجارات الاسرائيلية في لبنان الموقف العربي بغيبوبة، ومثله الموقف الدولي، الذي لم يتبنّ حتى الآن موقفاً يدعو فيه، لوقف اطلاق النار، بل لم يتمكن المجتمع الدولي ـ بحسب رئيس الوزراء اللبناني ـ من تسليم لبنان خارطة الألغام التي زرعتها اسرائيل في الجنوب اللبناني خلال سنوات الاحتلال.

حربٌ بالوكالة، أم لم تكن، فالمطلوب الآن ـ أمريكياً على الأقل ـ نزع المخالب الجارحة من اليد الايرانية، حتى يسهل التقاط الملف النووي الايراني، ووضعه على طاولة المفاوضات، بمواصفات، واشتراطات أمريكية، ليس أقلها وقف تخصيب اليورانيوم، والتوقف عن دعم سورية، وحزب الله، بل ضرب وتفكيك التقنية النووية الايرانية، وتأمين المصالح الأمريكية (البترول)، ووكيلها في المنطقة (اسرائيل).

فحتى الآن لم تتمكن اليد الأمريكية من التقاط الملف النووي الايراني،رغم حشد العواصم الغربية الثقيلة في صفها، لأن اليد الايرانية وان وُضعت على طاولة المفاوضات وفي راحتها الملف النووي، الا أن مخالب حادة تملأ أصابعها، ستجرح من يحاول التقاط هذا الملف.

ولا يمكن لليد الأمريكية أن تغامر بفعل ما، قبل نزع هذه المخالب، لأنها يد ناعمة بطبيعة الحال، مهما ظهرت عُليها ملامح القوة!!

المخلب الأول في اليد الايرانية هو (شيعة العراق)، فالحرب، والاحتلال ،وديمقراطية أمريكا لم تفرز غير رئيس وحكومة عراقية موالية لايران حتى مخ العظم، حاربت أمريكا، وكسبتْ ايران، وللأخيرة قدرتها على قلب الطاولة في الوجه الأمريكي داخل العراق، عبر الآيات والملالي الموالية.

المخلب الثاني هو حزب الله، القنبلة الموقوتة المتموضعة بالقرب من الرأس الاسرائيلي (في الشمال)، رأس الوكيل الراعي للمصالح الأمريكية في المنطقة.

(وفي اعتقادي أن الانسحاب الاسرائيلي من مزارع شبعا اللبنانية، وتبادل الأسرى مع حزب الله، سينهي الصراع بين الطرفين، ففي كل مرة يظهر فيها قادة حزب الله، لا يطالبون بأكثر من ذلك، لكن امريكا مصرة على كسر اليدين السورية والايرانية داخل لبنان).

المخلب الثالث هو النفط، عصب الحياة الغربية... أحد رؤساء أمريكا ـ أظنه نيكسون ـ خاطب شعبه بالقول: أنتم تمثلون 6 % من سكان العالم، وتستهلكون 60 % من نفطه، فالنفط هو الدم الساري في شرايينكم.

وايران تملك 12 % من الاحتياطي العالمي للنفط، المقدر بترليون برميل، ومجرد ايقافها عن التصدير سيرفع سعر البرميل الى أرقام خيالية.

رابع المخالب هو تأمين ممرات النفط القادم من دول الخليج، خاصة من السعودية التي تملك (25 %) من الاحتياطي العالمي، وكل هذه الدول تصدر نفطها عبر السواحل الشرقية، بموازاة الساحل الغربي لايران.

ويتمثل خامس المخالب في اليد الايرانية، بالاتفاقيات العسكرية والأمنية والاقتصادية التي تربط ايران ببلدين من وزن روسيا، والصين، وهي اتفاقيات تحاول ايران تفعليها بصورة أكبر، كلما مر الوقت، وتوالت حدة الضغوط عليها، بشأن برنامجها النووي.

فالاستثمارات الروسية في مجالات الطاقة في ايران تصل الى أكثر من مليار دولار سنوياً، أما الصين فان 60 % من صادرات النفط الايراني تذهب اليها.

* كاتب وصحافي من اليمن
arefabuhatem@hotmail.com

أسطورة «مجلس الأمن الدولي»

احسان القجاني*

■ تقول لكم أم الديمقراطيات في العالم أمريكا: «لاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها، وعلى الأطراف الأخرى ضبط النفس» يستطيع أي محلل سياسي أو خبير دولي في شؤون الشرق الأوسط أن يحلل هذه المقولة حسب استراتيجيته أو هواه. لكنني لا أجد لهذه المقولة الا تفسيرا واحدا، (ولا أقول تحليلا لأن الأمر لا يحتاج الى تحليل)، مفاده أن لاسرائيل وحدها الحق في شن الحرب متى شاءت، وأينما لذ لها وطاب، ولأي سبب تراه مناسبا للقيام بحرب مسعورة هوجاء، تقتل فيها المدنيين العزل من أطفال وشباب ونساء، وتقضي على كل البنى التحتية، وبالمقابل عليكم أن تسمحوا لاسرائيل أن تعثو في دياركم، وأن تنهش لحومكم، وتسقي الأرض بدمائكم ودماء فلذات أكبادكم باعتباركم «أطرافا» يمكن الاستغناء عنها، بينما اسرائيل هي المركز ولب الوجود في الشرق الأوسط على وجه التحديد. ازاء هذا الدور الجليل والعظيم الذي تقوم به اسرائيل في المنطقة تطرح راعية السلام في العالم الحل وهو بكل بساطة «ضبط النفس»، فعلى كل مواطن عربي داخل ميدان القتال أو خارجه أن يضبط نفسه، ويخيط فمه، ويكبل يديه ورجليه. هذا هو الحل الذي خرج به الأب بوش راعي البقر على شاشات التلفزيون ابان اشتعال الحرب بين حزب الله المقاوم واسرائيل الطاغية.

من أجل جنديين أسيرين سمح لاسرائيل بأن تدمر دولة بكاملها، وتقتل بلا هوادة أبرياء عزلا، أطفالا بلا حماية، بل شعبا بكامله لم يسترجع بعد قواه جراء ويلات الحروب التي عاناها طوال السنوات الماضية. اليوم اسرائيل تأتي وبترخيص من منتج وموزع الديمقراطيات والسلام على هذه البسيطة لتدمر بنية بلد بكامله دون أي اعتبار لأدنى شعور أو ضمير انساني.

على مسرح العمليات القتالية الموت يحصد المئات والجرحى بالآلاف، والخراب والدمار يشكلان صورة قاتمة تتطلب الكثير من الزمن لتلميعها وتضميد الجراح والآلام، بينما على مسرح الكبار يصدر مجلس الأمن الدولي قولته المسرحية المعتادة «مجلس الأمن يندد بالحرب التي تقوم بها اسرائيل في المنطقة»، وهي مجرد قرار لا يسمن ولا يغني من جوع. اكمالا للسيناريو ترفع أمريكا لافتتها المعهودة المتمثلة في حق الفيتو الذي يلغي قرار مجلس الأمن، هذا الحق الذي استعملته لكي تشن الحرب على العراق بعد أن كان المجلس المذكور قد خرج بقرار لا يسمح فيه بالحرب على العراق. وها نحن اليوم نرى عراقا يعيش فوضى عارمة ودمارا شاملا. أتساءل ما هو مجلس الأمن الدولي؟ ولماذا هو أصلا قائم اذا لم تكن له أية قوة ضغط في مثل هذه الظروف، تاركا أمريكا تفعل ما يحلو لها وتساند قوى الشر أينما كانت؟ خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي القوة التي كانت تحقق بعض التوازن على مستوى الصراعات الخارجية. بقاء أمريكا وحدها في الساحة وبيدها كل السلط يدفعنا الى التساؤل: على من تعتمد الدول في تحقيق أمنها؟ اليابان قزم سياسي، وانكلترا حليفة لأمريكا، روسيا تلعب على الحبلين، ألمانيا تغازل أمريكا وتخطو خطاها، بقيت الصين وفرنسا اللتان يتغلب عندهما الكلام على الأفعال. وعلى كل فهؤلاء يقومون بشطحاتهم الفلكلورية لاحتواء الموقف المنفلت، بينما الدول العربية منها من يغط في سباته العميق كعادته في مثل هذه الحالات، ومنها من خرج عن صمته ليحدث شوشرة في مسامعنا، لقد كانت المصيبة في صمتهم وعندما نطقوا أصبحت المصيبة أكبر، فحينما تتهم مصر والسعودية والأردن حزب الله بأنه مغامر جر لبنان الى حرب غير متكافئة يفضي بنا هذا الأمر الى طرح احتمالين: الأول هو أن أمريكا اتصلت بالبلدان الثلاثة ولطبيعة العلاقات بين الجانبين وزعت عليهم بيانا مفاده أن حزب الله مغامر الى آخر الكلام. الاحتمال الثاني: هو أنهم يجهلون أو يتجاهلون قراءة ما بين السطور، ألا وهو رغبة اسرائيل لمحو حزب الله من الوجود باعتباره يشكل قوة مزعجة لاسرائيل في المنطقة، وعليه وجب التخلص منه، والا كيف نفسر قيام حرب جد متطورة نشبت بسبب أسر جنديين اسرائيليين، علما أن تبادل الأسرى هو شيء متعارف عليه في المواثيق الدولية ولا داعي للقيام بحرب هوجاء من أجل استردادهم، ثم اذا كان حزب الله هو المستهدف، فلم يتم قصف كل لبنان ما لم تكن هناك نية مبيتة لتدمير هذا البلد؟

ان منطقة الشرق الأوسط ستزداد انفجارا اذا لم يتخذ الضمير الدولي والعربي موقفا حاسما، فبالأمس كان العراق يؤرق أمريكا، وها هو اليوم يعيش تحت وطأتها، في حين تعتبر ايران وملفها النووي هاجسين ينغصان على أمريكا راحتها، وتعد سورية الوجبة الشهية ولبنان في صورة حزب الله، وأخيرا القضية الأزلية فلسطين والعدوان الاسرائيلي عليها. هذه القضايا الخمس ستجر المنطقة الى حروب لا آخر لها، وسوف يجد جميع العرب أنفسهم مقحمين في سلسلة من الحروب رغم أنوفهم ولن يسلم منها أحد. قد يقول قائل كل هذا نعرفه، فأين الحل؟ أقول أن زمن المعجزات قد انتهى، وأن الحل لا يأتي من فراغ، اذ لسنا أمام مشكلة حسابية بل ازاء معضلة شائكة يجب أن يؤسس لها وتتوحد فيها كل الجهود، فلنبدأ أولا بالذي لا يكلفنا شيئا، وهو القيام بتظاهرات حاشدة نساند فيها الشعب الفلسطيني واللبناني حتى يحس العالم أن لبنان وفلسطين مسانداً بالجماهير الشعبية، وأن الشعوب العربية قد تحقق مالا تحققه حكوماتهم، عارعلينا أن نبقى في بيوتنا وشعب لبنان وفلسطين يدفع الثمن بدمه، التظاهرات هي أول الغيث، ثم بعدها تتم مقاطعة جميع البضائع الأمريكية والصهيونية. اقتصاد اسرائيل ينبغي خلخلته وتدميره، وقبل هذا وذاك يجب أن نطور ونسلح أنفسنا بالعلم. اسرائيل تحاربنا بالعلم ونحن متأخرون بسبب هيمنة آليات التفكير الهشة المتقادمة التي تحول دون مواكبة عصر التكنولوجيا وحداثته المطردة، وهذا يقع على عاتق الدول أولا ثم تأتي مسؤولية المثقفين والأثرياء العرب بجميع مستوياتهم الذين يتوفرون على ثروات طائلة يمكن أن نستثمر جزءا منها في المجالات العلمية الناجعة. الحلول وافرة وكذلك العقول والأدمغة العربية، والا فما جدوى مليار ونصف عربي في هذا العالم.

* قسم الدراسات الدولية المتوسطية
جامعة أوطونما بمدريد

كيف استجاب عرب الجليل للصراع الراهن؟

عوني فرسخ*

■ اسرائيل بنص «اعلان الاستقلال» دولة عنصرية، ومنذ البداية لم يجر التعامل مع العرب الذين فضلوا البقاء في وطنهم باعتبارهم أقلية قومية، وانما كطوائف دينية، واخضعوا للحكم العسكري حتى العام 1959. وعلى مدى السنوات الثماني والخمسين الماضية مورست العنصرية ضدهم في شتى الأنشطة، وبرغم ذلك احتفظوا بمشاعرهم الوطنية والقومية. وقد تجسدت استجابتهم للتحديات العنصرية الصهيونية أكثر ما تجسدت بما أبدعه محمود درويش وسميح القاسم ورفاقهما من روائع الشعر العربي، كما انعكست عليهم تداعيات المتغيرات في الواقع العربي فلسطينيا وقوميا. فالمد القومي الذي تعاظم بعد تأميم القناة سنة 1956 عزز لديهم شعورهم بانتمائهم العربي، وكان أن برزت «حركة الأرض» التي استقطبت قطاعا من الشباب الذين كان بعضهم يجد في الحزب الشيوعي او النوادي الاجتماعية مجال تعبيرهم عن رفض الأمر الواقع. كما أدى احتلال الضفة والقطاع سنة 1967 الى اعادة تواصلهم مع عمقهم الوطني، فيما التحق العديد من شبابهم وصباياهم بالجامعات، وبخاصة جامعة بيرزيت، والذين بتفاعلهم مع الحراك الوطني والعمل الفدائي متسارع النمو بعد النكسة تنامى وعيهم الفلسطيني وشعورهم بوحدة المسيرة والمصير.

ولما كان الجليل يضم القطاع الأكبر من عرب الأرض المحتلة العام 1948، وحيث اضطر حزب الله الى قصف شمالي فلسطين بالصواريخ ردا على حرب الأرض المحروقة التي تقوم بها آلة الحرب الصهيونية في لبنان، فانه يغدو مهما رصد انعكاس ذلك على مشاعر عرب الجليل ومؤشرات استجابتهم لتحديات الصراع الراهن، ومحاولة قراءة الآثار المحتملة لذلك على القوى والتوجهات السياسية ـ الاجتماعية لديهم.

وكان أحد الصواريخ اللبنانية قد سقط على منزل أسرة في حي الصفافرة بمدينة الناصرة فأودى بحياة ثلاثة من أفرادها بينهم طفلان، وقد اقتصر تعليق الأم على أن قالت : قضاء وقدر. وفي مقابلة السيد حسن نصر الله التي بثتها فضائية الجزيرة مساء 7/20 تقدم بالتعزية لأسرة الضحايا، واعتذر منها، وأعلن اعتبارهم شهداء المقاومة وفلسطين. وقد أرجع أحد مواطني الحي اصابة الأسرة لعدم توفر الملاجيء وصفارات الانذار في المدن والبلدات والقرى والأحياء العربية. بينما ذكر مواطن آخر أن أحد الطفلين ظل يتنفس قرابة نصف ساعة، وتوفي قبل وصول سيارة الاسعاف بدقائق.

والشهداء الثلاثة، وان كان سبب استشهادهم المباشر سقوط صاروخ المقاومة على منزلهم، الا أن المسؤولية التاريخية والأخلاقية انما يتحملها بصورة رئيسية اولمرت وأركان حكومته وقيادة جيشه، برفضهم مبادرة حزب الله بتبادل الأسرى التي أعلنها أمينه العام لحظة زف نبأ اسر جنديين لمبادلتهما بالأسرى العرب، كما كان قد وعد بذلك وأقرته القوى السياسية اللبنانية في جلسات الحوار الوطني اللبناني. وكذلك يتحمل المسؤولية الأولى قادة الفكر والعمل الصهيوني الذين أصلّوا العنصرية في الفكر والثقافة والقوانين والانظمة الصهيونية. وبينما امتلك السيد حسن نصرالله شجاعة الاعتذار عن خطأ غير مقصود لم يصدر عن أي مفكر أو سياسي صهيوني الاعتذار عن خطيئة رفض المبادرة الانسانية، أو عن تبعات التمييز العنصري في حماية عرب الأرض المحتلة العام 1948.

وفي التمايز الكيفي في الموقف من شهداء الناصرة مؤشر على تميز الثقافة العربية الاسلامية المؤسسة على الالتزام بالعدل والمساواة بين البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم ومذاهبهم. وبين ثقافة لحمتها تعاليم التلمود وسداها الفكر الصهيوني، بحيث اتسمت بعنصرية مركبة. فهي لا تعتبر العربي من «الغوييم» ـ الأغراب ـ فقط، وانما أيضا عنصرا مرشحا للتطهير العرقي والطرد القسري من ارض آبائه وأجداده، وقتله بالتالي مباح.

وكانت هيئة الاذاعة البريطانية قد أجرت حوارا بين عربيين من حيفا حول رد فعلهما تجاه ما تعرضت له مدينتهما من قصف، فاتفقا على القول بأنهما بقدر قلقهما على سلامة الأهل بمقدار سعادتهما بالمستوى الذي بلغته المقاومة العربية من كفاءة في الرد على العدوانية الصهيونية. وردا على سؤال احدهما أليس في ذلك عدم وفاء لدولة أنت احد مواطنيها؟ أجاب: ما دامت مواطنتي منقوصة فولائي منقوص. وبسؤال الثاني عن شعوره تجاه ما قد يتعرض له جيرانه ومعارفه اليهود، اجاب بأنه يتعاطف مع السكان اليهود وليس مع الحكومة الاسرائيلية.

وفي تقديري أن المجتمع العربي في فلسطين المحتلة سنة 1948 مرشح للتأثر بأربعة عوامل متفاعلة جدليا: الأول، المشاركة الوجدانية مع مواطني الضفة والقطاع بسبب حصار التجويع المفروض عليهم بقرار أمريكي ـ صهيوني والمنفذ بالاستكانة العربية.

والثاني، تقدير اعتماد الحوار الديمقراطي الذي توج باقرار وثيقة الوفاق الوطني دون تفريط بالثوابت خاصة حق العودة. والثالث، الاعجاب بالابداع المقاوم كما تجلى بعمليتي «تبديد الوهم» و«الوعد الصادق». والرابع، انكشاف العنصرية الصهيونية في التمييز ضد المواطنين العرب حتى في اجراءات الأمن.

والاحتمال الأرجح أن تكون الحركة الاسلامية بزعامة رائد صلاح هي الأكثر استفادة من النقلة النوعية المتوقعة في الوعي والحراك السياسي لنخب وجمهور المجتمع العربي. ومن المحتمل أن يكون ثاني المستفيدين القوميون الديمقراطيون، وبخاصة الحركة التي يقودها د. عزمي بشارة، الذي كان له حضوره المتميز اعلاميا في فضح الأسلوب الغبي الذي تدير به حكومة اولمرت الأزمة. فيما سيشهد خيار الاسرلة ـ التماهي بالتجمع الصهيوني ـ انحسارا ملحوظا.

وقراءة تجربة المجتمع العربي في فلسطين المحتلة توضح أن التحديات التي تجسدها الممارسات العنصرية الصهيونية ولدت استجابة واضحة، تمثلت على نحو خاص بارتفاع نسبتهم من 11% سنة 1949 الى نحو 20% اليوم، برغم كل الهجرات اليهودية، وشبه اليهودية. كما شهد المجتمع العربي نموا طرديا في وعيه وحراكه السياسي، واعتزازه بانتمائه الوطني والقومي، وتجاوبه مع أحداث الضفة والقطاع.

مبرهنا بذلك على عمق المكون الحضاري الذي يختزنه، وعن مستوى استجابته لتحديات العنصرية الصهيونية، ومدللا على أن الصهيونية ابرز خمائر التغيير في الواقع العربي.

* كاتب فلسطيني يقيم في الامارات

الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في الحرب السادسة

د. عبد العظيم محمود حنفي*

■ رغم أنه جرى تحديث وتطوير بناء واعداد القوات المسلحة الاسرائيلية على عدة أسس أهمها:

1 ـ تكوين وحدات نيران برية وجوية، تملك وسائل لتدمير آلاف الأهداف الموجودة في أرض العدو بعمق لا يقل عن 50 كيلومتراً وراء الحدود، وتعمل في الليل والنهار ومختلف حالات الطقس.

2 ـ تفضيل التكنولوجيات الحديثة على حجم القوة.

3 ـ تفضيل النيران المستخدمة في التدمير من بعد على نيران المواجهة المباشرة.

4 ـ بناء القوات العاملة على أساس زيادة قوتها النارية.

5 ـ انشاء وحدات برية ذات قوة ضاربة وحاسمة.

6 ـ انشاء وحدات جوية ذات قوة نارية ضاربة وحاسمة.

7 ـ انشاء وحدات صاروخية ذات مديات قريبة ومتوسطة وبعيدة.

8 ـ تعديل المذهب العسكري، وبخاصة جانبه القتالي من خلال التركيز على النوعية في بناء القوة العسكرية.

9 ـ تشكيل القوات الجوية والبحرية ووحدات الاستخبارات.

10 ـ القدرة على القيام بالضربة الاستباقية الاجهاضية.

11 ـ اعتماد استراتيجية الاقتراب غير المباشر.

12 ـ القدرة على القتال في أكثر من جهة.

فهل كانت المحصلة في المواجهات الاسرائيلية مع حزب الله على قدر تلك الأسس؟

الواقع أن أداء الجيش الاسرائيلي في تلك المواجهات يطرح عدة تساؤلات، فالمراقبون الاسرائيليون أنفسهم يرون في احتجاز جنود على أيدي مسلحين فلسطينيين وعناصر من حزب الله علامات تراخ وثقة زائدة عند المجندين، خاصة وان حزب الله عبر بوضوح عن نيته في القيام بما قام به كما حاول ذلك في الماضي. كما أن الهجوم على السفينة الاسرائيلية، وهي من نوع سار 5 المتطور، يطرح تساؤلات أخرى. فقد أصابها صاروخ موجه بالرادار من طراز C802، وهو صيني الصنع. ولم تعرف المخابرات الاسرائيلية أن ايران زودت حزب الله بمثل هذه الصواريخ ومعدات الدفاع الالكترونية المتطورة جدا على متن السفن الاسرائيلية مصممة للتدخل في مثل هذه المواقف، لكنها لم تكن حتى مشغلة لما أصيبت السفينة. ان ضرب حزب الله للسفينة الاسرائيلية قد لا يكون عسكريا حدثا كبيرا، لكن اثر ذلك الحدث النفسي على الاسرائيليين كان كبيرا جدا. كما أن ارتفاع معدل الخسائر في المعارك البرية التي خاضتها القوات الاسرائيلية مع مقاتلي حزب الله في منطقة بنت جبيل اللبنانية الحدودية مع اسرائيل والتي كانت، كما وصفها الجنود الاسرائيليون المصابون فيها «جهنم على الأرض». هذا الأمر دفع الى توجيه انتقادات حادة للجيش الاسرائيلي بسبب عدم استخدامه للتكنولوجيا العسكرية المتقدمة لتعزيز قدراته القتالية في المعارك البرية. في هذا السياق يقول المحلل الاسرائيلي صامويل جوردون في مقال نُشر في صحيفة «جيروزاليم بوست» بأن حزب الله «نجح في تحييد التفوق التكنولوجي الاسرائيلي في مجال سلاح الجو». وطالب جوردون بان يكون هناك تنسيق أفضل بين وحدات برية خاصة صغيرة الحجم وبين سلاح الجو بدلا من القصف الجوي المكثف والعشوائي، بحيث تقوم الوحدات الخاصة بتحديد الأهداف وارسال المعلومات حولها الى الطيارين وقواعد اطلاق الصواريخ لكي تكون الضربات دقيقة وفعالة، حسب قول جوردون. ويقول المحلل العسكري الأكثر احتراما بين الأوساط الاسرائيلية زائيف شيف «ان اسرائيل ابعد ما تكون عن تحقيق انتصار عسكري حاسم كما لم تحقق أيا من أهدافها حتى الآن» كما يرى بعض المحللين أن هناك عدم تناسب بين حجم القصف الجوي الكبير والعمليات البرية المحدودة التي يقوم بها الجيش الاسرائيلي. وتبدو عمليات القصف الجوي التي تقوم بها اسرائيل شبيهة بالتي قامت بها الولايات المتحدة خلال حربي الخليج الأولى والثانية وتتماشى ما بات يعرف بعقيدة باول (وزير الخارجية الأمريكي السابق ورئيس أركان الجيش الأمريكي عام 1992) وتعتمد على استخدام القوة القصوى، لكن اسرائيل تتفادى اللجوء الى القوة البرية القصوى.

وبعكس عمليتي احتلال اسرائيل للبنان عامي 1978 و1982، تقدمت قواتها الى شمال نهر الليطاني في الأولى ووصلت الى مدينة بيروت في الثانية، فان اسرائيل هذه المرة تتفادى التوغل عميقا في لبنان، ويبدو أن ذكريات هاتين العمليتين لا تزال تلقي بظلالها على تفكير القيادة العسكرية والسياسية الاسرائيلية. فقد قامت اسرائيل بارسال عدد محدود من الجنود الى داخل لبنان وبعمق عدة كيلومترات فقط لاقامة منطقة عازلة داخل لبنان لكن قواتها واجهت مصاعب لدى الاصطدام مع مقاتلي حزب الله المدربين والمسلحين جيدا. واضطر الجنود الاسرائيليون الى استخدام دبابات ميركافا المتطورة جدا كعربات اسعاف لاخلاء الجنود الجرحى. والمزاعم الاسرائيلية بأن منطقة بنت جبيل سقطت في يد القوات الاسرائيلية لم تصمد طويلا وكانت المعركة الشرسة في هذه المنطقة كفيلة باثبات العكس وقد يكون ذلك دليلا على أن اسرائيل لم تجد ما تتفاخر به من الانتصارات بعد كل هذه الفترة من العمليات العسكرية. كما أن استمرار حزب الله في خوض الحرب الحالية، التي كانت اسرائيل تعتقد بأنها ستحسمها بأسرع وقت، وكذلك طول فترة المواجهات المستعرة مع عدم وجود بوادر أكيدة على ضعف ميليشيا الحزب، رغم تصريحات اسرائيلية بأنه تكبد «خسائر استراتيجية فادحة»، كما أثبت خطأ تقديرات الجيش الاسرائيلي بأن باستطاعته حسم المعركة لصالحه في وقت قياسي. من جانبه أراد حزب الله من القتال باستماتة في هذه المعركة أن يفوت الفرصة على اسرائيل وأن يتثبت بأنه قوة يحسب لها ألف حساب وان المعركة البرية على الأرض هي معركته. كل هذه المعطيات تلقي الضوء على القدرات العسكرية الاسرائيلية وعلى الاستراتيجية التي اتبعها الجيش الاسرائيلي في هذه الحرب، فالاستراتيجية التي شنت بموجبها اسرائيل الحرب كانت تركز على جانبين: الأول: توجيه ضربة عسكرية قاسية ومدمرة لحزب الله بوجه خاص، لتدمير قدراته العسكرية واضعاف خطره المتزايد عند حدودها الشمالية وابعاده عن حدودها وثانيا تدمير البنية التحتية اللبنانية عموما لقطع الامدادات على حزب الله وتكثيف الضغط العسكري والسياسي وتأليب المجتمع اللبناني عليه. وقد استغلت اسرائيل حادثة أسر اثنين من جنودها لتصفية الحساب القديم /الجديد مع حزب الله ووجدتها فرصة للتخلص من «جار مزعج» لم يعد من الحكمة السكوت على مشاكساته. كما أن المواجهات المستمرة مع الفلسطينيين وبلوغها أوجها باختطاف جندي اسرائيلي مؤخرا فشلت الآلة العسكرية الاسرائيلية في تحريره، كانت أيضا دافعا آخر ولو جانبيا لهذا الرد الاسرائيلي القوي على حزب الله. أما بالنسبة للرد الشامل والمكثف فهو مبدأ أصيل في العقيدة العسكرية الاسرائيلية تلجأ اليه اسرائيل سواء في حروبها الخارجية أو وحتى في المواجهات مع الفلسطينيين. ولعلنا نتذكر كيف يكون الرد الاسرائيلي عنيفا عقب كل عملية فلسطينية استهدفت اسرائيل. وتلجأ اسرائيل لهذا الأسلوب الحربي لعدة أسباب منها: أولا بسبب عقدة التفوق العسكري التي تسيطر على العقلية العسكرية والسياسية الاسرائيلية وهو ما تعتمد عليه اسرائيل في ردع أع